

شبابنا والثقافة العالمية

بقلم

د. حامد طاهر

تلعب الثقافة دوراً هاماً في تشكيل أسلوب حياة الأفراد والمجتمعات. وهي ترسخ في الإنسان التصورات والأفكار والمعتقدات التي على أساسها يتصرف، ومن خلالها يتعامل مع الآخرين. وقد ثبت أن الثقافة عملية تبادلية بين الفرد والمجتمع، فكل منهما يأخذ من الآخر ويعطى له. وإذا كان كل مجتمع قد كون لنفسه ثقافة محلية خاصة به، فإن هناك ثقافة عالمية تأتي إليه من الخارج، وتصبح بالضرورة جزءاً من الثقافة المحلية. ومن الملاحظ أن هذه الثقافة العالمية قد تزايدت خلال السنوات القليلة الماضية بصورة لم يحدث لها مثيل من قبل، وذلك بفضل وسائل الإعلام، وتكنولوجيا الاتصال التي أتاحت لأي إنسان في العالم، إذا ما عرف كيف يتعامل مع هذه الوسائل، أن يتواصل مع الثقافة العالمية، وأن ينقلها بالتالي إلى المجتمع الذي يعيش فيه.

لم يعد أى إنسان بمعزل عما يقع فى العالم من أحداث ، أو من تطورات . كما لم تعد أى دولة قادرة على إقامة أسوار عازلة لمجتمعها عن هذه الأحداث والتطورات، وقد أتاحت هذه القدرة على التواصل مع العالم إمكانية كبيرة للمقارنة ، وفتحت المجال أمام إعادة النظر فيما رسخ من عادات ، وفيما تأصل من تقاليد . ولما شك أن أى شريحة تتعرض لذلك هى شريحة الشباب ، لسببين اثنين : الأول أنهم الأقدر على استخدام تكنولوجيا الاتصالات ، والثانى أنهم الأكثر استعداداً لقبول الجديد والتأثر بالمبهرات . وهنا تظهر مشكلة على قدر كبير من الأهمية والخطورة معاً ، وهى أن جيل الشباب - فى كل المجتمعات وليس فى مجتمعنا وحده - هو الجيل الأكثر تعرضاً لتأثير الثقافة العالمية سواء كان هذا التأثير إيجابياً أم سلبياً ، وأقصد بالتأثير السلبي ما تحتوى عليه هذه الثقافة من أمور تتعارض تعارضاً صريحاً مع ثوابت الثقافة المحلية ، وفى مقدمتها المعتقدات الدينية والأخلاقية . والمثال على ذلك أن شبكة الإنترنت تحتوى على إمكانية ضخمة للتزود بالمعلومات الدقيقة فى كل مجالات الحياة المعاصرة ، ولكنها تشمل أيضاً قدراً كبيراً من المعلومات غير النافعة تماماً ، بل المضارة جداً ، وذلك بدءاً من كيف تصنع قنبلة ؟ إلى ما يتعلق بعالم الإباحة والجنس ..

ولما شك أننا سنلتقى بمن يقول لنا إن حصانة شبابنا فوق مستوى الشبهات ، وأن أمثال هذه المظاهر العارضة لن تؤثر فيه ، لأن قيمنا وتقاليدنا أرسخ من أن تهزها مجرد ريح عابرة . لكن هذه النظرة التقليدية المتفائلة تظل فى حدود الأمانى الطيبة ، وهو الأمر الذى يجعلها غير قادرة على مواجهة الواقع القاسى الذى بدأ ينتشر ويتغلغل فى قطاعات كبيرة من الشباب . وهنا لا بد من الإجابة بصراحة عن سؤالين : ما هى العناصر المضارة فى الثقافة العالمية ؟ وكيف نحمى شبابنا من تأثيراتها ؟ وبالطبع ، ينبغى على المجتمع كله أن يشارك فى الإجابة عنهما.